المتنبي

تجاوزنا السيرة الذاتية، وتخطينا التراجم التقليدية، ووصلنا إلى نتاج هذا الشاعر مباشرة؛ فالمتنبي عندي ملك الشعراء؛ لأن للشعر وزيرًا وأميرًا وقاضيًا وفقيهًا، ولكن مملكة الشعر لملكها أحمد بن الحسين المتنبي لمجموع محاسنه، وكلية إبداعه، وقد يفوقه في قصيدة أو بيت واحد غيره من الشعراء، لكن مجموع شعره لا يفوقه فيه شاعر ولهذا يقول:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله إذا القول قبل القائلين مقولُ

وهذا الشاعر انصهر مع الكلمة، وذاق البيان، وأُشْرِب في قلبه الفصاحة فذابت حشاياه، وغلت مراجل فكره بجواهر من القول فاقت الوصف، والذي يعجبك في المتنبي هذا الاحتراق والإشراق، فهو محترق بهمومه وهمته وطموحاته، مشرق بعبقريته وإبداعه ونبوغه، وهو كما قال في ممدوحه:

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزالِ

ولك أن تقف أمام هذا البيت الذي يغنيك عن إسهاب من القول، وحواش من الحديث، فهو كما يقول لممدوحه: إنك وإن تفوقت على أقرانك، وتفردت بصفاتك عن بني جنسك، وتميزت هذا التميز المنقطع النظير، فلا غرابة في ذلك، فإن المسك على ندرته وشرفه وطيب رائحته وارتفاع ثمنه؛ من جنس دم الغزال.

البطاقة الشخصية:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

هذه ترجمة موجزة للمتنبي، فليس يعنينا معرفة أصله وفصله ونسبه وحسبه، بل نريد إبداعه ولموعه كما قال الشاعر:

أنا لست مهتمًا بأصل قبيلتي ورائي قريش أم ورائي تغلبُ

فليست بلادي بيرقًا أو خريطة ولكن بلادي حيث أسطيع أكتبُ

فهو يقدم لنا نفسه بهذا البيت على أنه موهوب، فرض نفسه على الناس بشعره وأدبه، حتى إن الأعمى الذي لا يبصر شيئًا نظر إلى أدبه، لقوة تأثيره، وسطوع تعبيره، وبلاغة تصويره، والأصم الذي لا يسمع شيئًا، أنصت لكلماته النافذة الآسرة الباهرة.

أما شعره، فيكفيه أن الدهر أحد رواة شعره، والأيام والليالي أصبحت تردد هذا الإبداع، وتغني هذا السحر الحلال:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مفرّداً